

التربية والتعليم في الجزائر في عهد الأتراك

ما أشارت إليه الدراسات هو عدم وجود سياسة تربية بالمعنى الحرفي والمعاصر للعبارة خلال العهد العثماني، وأن السلطات العثمانية التركية غالبا ما كان يعنها أمر التعليم سواء انتشر أم تقلص، باستثناء بعض الاهتمامات الفردية من طرف بعض الولاة، ذلك أن معظم أفراد الطبقات المشكلة لسلطات الحكم العثماني في الجزائر سواء عسكرية أو مدنية لم يكونوا متزوجين أو يصطحبون عائلاتهم وأسرههم معهم، ما جعل تعليم الأطفال أمرا ثانويا بالنسبة لهم (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص19).

وفي مقابل ما تم ذكره لا يمكن أن ينفى بحال من الأحوال اهتمام الجزائريين بالتعليم وكان ذلك على مستوى الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان ذلك في سياق نظرة التعليم والاحترام والقدسية للعلم لارتباطه بالدين الإسلامي (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص19).

"ورغم أن العربية ظلت لغة التعليم ولغة الشعب فإن الدولة قد اتخذت التركية لغة رسمية". (أبو القاسم سعد الله: 2009، ص159).

"وتشهد كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم كان منتشرًا وأن كل جزائري تقريبًا كان يعرف القراءة والكتابة، وقد كان التعليم حراً من سيطرة الحكام العثمانيين." (أبو القاسم سعد الله: 2009، ص159).

وهذا التعليم المنتشر مرتبط في أساسه بالكتاتيب التي يعتمد عليها الجزائريون في التعليم، ولا يعبر عن سياسة تربية عثمانية في الجزائر. وأهم المؤسسات التربوية في العهد العثماني ما يلي:

1-1-الكتاتيب:

تعتبر بمثابة مؤسسات التعليم الابتدائي لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، يشرف عليها معلم "شيخ" طالب" تضم أطفالاً بمستويات وأعمار مختلفة، وفي بعض الأحيان يقوم بمساعدته أحد الطلبة في تعليم الأطفال، وتتمثل الوسائل التربوية في وسائل بسيطة: حصير، ألواح مطوية بالصلصال، أقلام من القصب، ويمكن إضافة "الدواية" التي يستعملها الأطفال في الكتابة وهي مصنوعة من الصوف. وأغلب الكتاتيب هدفها الأساس حفظ القرآن الكريم، ونادراً ما يلاحظ فيها خلط بين علوم أخرى كالأدب والحساب والترتيل (كتاتيب أقصى الغرب الجزائري المتأثرة بمناهج أهل الأندلس) (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص22).

1-2-الزوايا:

إن انتشار الزوايا في الجزائر له انعكاس على مستوى التعليم، وهي في الغالب ذات منحى تعبدية صوفي بخلاف المدارس العلمية (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص23).

1-3-المدارس*:

اشتهرت الجزائر بمدارسها التي كانت تقدم تعليماً في مستوى التعليم الثانوي، وتتميز عن الزوايا في طابعها التربوي الذي استبعد جوانب الزهد والتصوف التي عرفت في الزوايا، وحصر اهتمامه على التعليم بمختلف العلوم الأدبية والدينية، إضافة إلى تعليم الحساب، وقد لقيت هذه المؤسسات انتشاراً كبيراً

* ذكر أبو القاسم سعد الله بوجود التعليم الابتدائي في هذه المرحلة بقصده الأطفال بين السادسة والعاشر، يقصده الذكور، أما الإناث فنادراً، مدة التعليم الابتدائي في حوالي أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين، أما الأغنياء فيواصلون تعلمهم ويدخلون المرحلة الثانوية (أبو القاسم سعد الله: 2009، ص ص 161-163).

على مستوى حواضر البلاد والمدن الكبرى، واشتهرت في كل من تلمسان وقسنطينة والجزائر ومازونة، ووهران التي اشتهرت بمدارسها التي كان يشد إليها الرحال وعرفت بإشعاعها الثقافي والعلمي وسمتها الطبية. (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص24).

وغالبا ما كانت هذه المؤسسات تقدم دروسا في مستوى التعليم الجامعي، ومثال ذلك الجامع الكبير بالعاصمة، ومدرسته العليا، فهما يشكلان نواة الجامعة في الجزائر في ذلك الوقت، إذ كان يشرف على حلقات الدروس فيها علماء وشيوخ بارزون، ونفس الشيء نجده في كل من مدارس تلمسان ومازونة ومعسكر. (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص24)، وأهم مواد التعليم العالي: النحو، الفقه الذي يشمل العبادات والمعاملات، التفسير، الحديث، الحساب، الفلك، بالإضافة إلى التاريخ والتاريخ الطبيعي والطب. (أبو القاسم سعد الله: 2009، ص165).

وبالرغم من بساطة هذه المؤسسات، والحضر الإداري وتهميش التعليم من طرف الحكم العثماني، إلا أن هذه المؤسسات أدت دورها التعليمي التربوي كما ينبغي وقضت على الأمية، وهذا الدور قد أنجز بالرغم مما سلط عليها من قهر وتخريب ومراقبة. (صحبي حسان: 1426هـ-2005م، ص25).
ما سيتم متابعته في سياسة المستعمر التربوية في الجزائر.